الدكتور جيكل والسيد هايد

تأليف
روبرت لويس ستيفنسون

ترجمة
فايقة جرجس حنا



الدكتور جيكل والسيد هايد

روبرت لويس ستيفنسون

The Strange Case of Dr. Jekyll and Mr. Hyde

Robert Louis Stevenson

الطبعة الأولى ٢٠١٣م
رقم إيداع ٢٠١٢/١٣٣٧٣

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + **فاكس:** ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

ستيفنسون، روبرت لويس.
الدكتور جيكل والسيد هايد/تأليف روبرت لويس ستيفنسون.
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٥١٧١ ٣١ ٣

١–القصص الإنجليزية

أ–العنوان

٨٢٣

رسم الغلاف: إيمان إبراهيم، تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

المحتويات

الفصل الأول

الباب

شاع القول إن السيد أترسون اتسم بالهدوء الشديد على غير عادة المحامين. وكان يسر قلبه أن ينصت إلى الناس أكثر مما يتحدث. ولم يكن يتفاخر أو يزهو بعمله أو ينشغل بنفسه. ببساطة، كان رجلًا نادرًا ومحط إعجاب.

كان موكلوه ممن ينبذهم المجتمع ويخرقون القانون. مع ذلك لم يكن السيد أترسون يتدخل فيما لا يعنيه أبدًا وكان يحفظ نفسه بمنأى عن كل هذا، فهو يزاول عمله فحسب؛ إذ كان مضطلعًا بإعداد الوصايا وتدبير الأمور المادية، ويغض الطرف عن كل شيء سوى ذلك. وكان حريصًا كل الحرص على ألا يتورط في شيء. كان السيد أترسون رجلًا يحب النظام والحياة النمطية، وعلى ما يبدو لم يسبق له أن فعل أي شيء يمت للإثارة بصلة لا من قريب ولا من بعيد. بل كان ينتابه شعور بعدم ارتياح إذا وجد أي شيء في غير موضعه. أما جدول مواعيده فلا يتغير؛ فهو ينفر من فكرة التغيير. أحب أترسون المسرح، لكنه لم يذهب إليه طيلة عشرين عامًا، وأحب لعبة البريدج لكنه لم يلعبها أبدًا. في حقيقة الأمر اعتبره كثيرون شخصًا كئيبًا وغامضًا وباردًا.

مع كل هذا كان السيد أترسون شخصًا محبوبًا للغاية؛ فقد رأى أصدقاؤه جانبًا مختلفًا من شخصيته، رأوا بريقًا مميزًا في عينيه، وعهدوه رجلًا طيبًا، مهمومًا بالآخرين ويعتني بهم. وكان ضيفًا محبوبًا في حفلات العشاء، ويعول عليه دائمًا في الإنصات إلى المشكلات وتقديم النصائح السديدة، وكل من عرفه اعتبره صديقًا عزيزًا جديرًا بالثقة.

كان أصدقاؤه إما ذوي قرابة أو رجالًا عرفهم لسنوات طويلة. ولم يبحث عن أصدقاء جدد خارج دائرة معارفه المحدودة، الأمر الذي توافق مع حاجته إلى الترتيب والنظام. من ثم واظب السيد أترسون على اصطحاب ابن عمه السيد إينفيلد في نزهة سيرًا على الأقدام

كل أحد بلا انقطاع، إذ كانا يلتقيان من أجل التنزه يوم الأحد لسنوات كثيرة بحق حتى إنهما نسيا عددها.

لا بد أنهما بدوا ثنائيًّا غريبًا في ناظري كل من مرّ بهما؛ فقلما تحدث أحدهما إلى الآخر أثناء سيرهما جنبًا إلى جنب. كانا يسيران في صمت، وأيديهما في جيوبهما، كلٌّ يؤرجح عكازه إلى جانبه. وما إن يريا صديقًا عبر الدرب، حتى تبدو عليهما البهجة الشديدة نظرًا لهذا التغيير الطارئ، ودائمًا كانا يحثان هذا الصديق على أن ينضم إليهما في نزهتهما. غير أن المظاهر يمكن أن تكون خادعة؛ فقد استمتع الرجلان بنزهاتهما يوم الأحد أيما استمتاع ورفضا أن يدعا أي شيء يعطلهما عنها.

حدث في نزهة من النزهات أن السيد أترسون والسيد إينفيلد وجدا أنفسهما في جزء مزدحم من لندن حيث الشوارع تعج بالناس، وبدا كلاهما مستمتعًا باليوم المشمس. انعطف السيد أترسون وابن عمه إلى أحد الشوارع الجانبية الهادئة. عادة كان يعج هذا الشارع بالناس، لكن المتاجر تغلق أبوابها في أيام الأحد. من ثم كاد الشارع يخلو من أي إنسان سواهما. وعلى خلاف بقية المناطق المجاورة، التي كانت متهالكة، كان هذا الشارع وقاطنوه في حالة جيدة؛ إذ كانت المباني رائعة ونظيفة، مصاريع أبوابها مطلية حديثًا وزخارفها النحاسية مصقولة جيدًا، وفيما واصل السيد أترسون والسيد إينفيلد سيرهما عبر الشارع راقت لهما المنازل والمتاجر.

وقبل نهاية المبنى بمنزلين برز منزل مختلف عن باقي المنازل؛ كان له ممر متهالك يؤدي إلى فناء. وقد تقشر طلاء الباب وأوشك مزلاجه أن ينفصل عنه. كان المنزل مكونًا من طابقين. وبناء على ما استطاعا رؤيته من مكانهما في الشارع، كان المنزل في حالة سيئة حيث بدا مُهملًا ومهجورًا. ولم تكن هناك نوافذ في الجدار المواجه للرجلين، إنما الباب فحسب بدون حتى جرس أو قارعة.

كانا يقفان على الجانب المقابل للمبنى عندما رفع السيد إينفيلد عكازه وأشار به إلى المنزل ثم سأل ابن عمه السيد أترسون: «ألحظت هذا المنزل من قبل؟» أجاب السيد أترسون بالإيجاب، فاستطرد السيد إينفيلد قائلًا: «إنه يذكرني دائمًا بقصة غاية في الغرابة.»

نظر مستر أترسون إلى ابن عمه وقال: «حقًّا؟ وما هذه القصة؟» في تلك اللحظة كان السيد إينفيلد غارقًا في التفكير.

الفصل الثاني

قصة إينفيلد

بعد فترة وجيزة رد السيد إينفيلد قائلًا: «يا إلهي! حدث ذلك في هذا الطريق، في ليلة من الليالي فيما كنت أسير عائدًا إلى البيت في وقت متأخر، كان الدرب الذي سلكته خاليًا تمامًا من المارة، ولم أر إنسانًا أثناء مروري ببضعة مبانٍ، وكان الضباب يغشي الليل، لذا احتجب نور القمر، فلم تؤنس وحدتي سوى أنوار الشارع. ولا أخفي عليك شعرت بشيء من الرعب؛ فمن الغريب أن تكون الإنسان الوحيد في بقعة مظلمة ومهجورة. وفيما كنت أحسب أنني الشخص الوحيد على الأقل الموجود خارج المنزل في هذه الليلة، إذا بشخصين آخرين في الشارع؛ أحدهما رجل شديد القصر أحدب يسير بعيدًا عني. وقد راعتني سرعته؛ إذ كان يسير بسرعة كبيرة مُحُدَّد الهدف. أما الشخص الآخر فقد كان فتاة صغيرة في الثامنة أو التاسعة من العمر تركض في شارع يقطع الشارع الذي أسير فيه. وبطبيعة الحال اصطدم كل منهما بالآخر حينما انعطفت الفتاة. أطاح الرجل بالفتاة أرضًا، فكان هذا بشعًا، غير أنه لم يتوقف عند هذا الحد! لقد خطا فوق ساقها ومضى قدمًا في طريقه. ولم يبدُ أنه لحظها. وفيما كانت الفتاة الصغيرة ملقاة في الشارع تبكي، لم يتوقف الرجل أو حتى ينظر باتجاهها! أعرف أن وصفي قد يبدو لا يحمل الكثير، لكن المشهد الذي رأيته كان رهيبًا. كانت تصرفاته شديدة الفتور، فصرختُ فيه وركضت وراءه. أدركته بدون عناء وأمسكت ذراعه. لم يقاومني وأنا أحضره إلى الفتاة التي تصرخ. في الواقع، بدا في غاية الهدوء، ولم يظهر عليه أدنى انزعاج لما صدر عنه. وعندئذ فحسب رمقني الرجل بنظرة مريعة حتى إنني بدأت أتصبب عرقًا، كما لو كنت قد انتهيت لتوي من أداء تمارين رياضية. هرعت أسرة الفتاة للخارج. كانت الفتاة في طريق عودتها بعد ذهابها لإحضار الطبيب عندما أطاح بها هذا الرجل. ومن حسن الحظ أن الطبيب لم يكن يبعد وراءها كثيرًا في الشارع، فحضر إلى الفتاة الصارخة في

التو، وقال إنها مرعوبة أكثر منها جريحة. لو كان الأمر في ظروف أخرى، لانتهى في الحال. لكنني كنت مستاءً من هذا الشخص الغريب حتى إنني قررت ألا أدع الأمر يمر مرور الكرام. لكن أكثر ما أثار ذهولي هو ردة فعل الطبيب؛ فكلما نظر إلى الرجل، تجهم وجهه وشحب من شدة الغضب والحنق. في بادئ الأمر ظننت أن الطبيب كان يعرف هذا الرجل الغريب، لكنني لا أظن أن هذا هو واقع الأمر بالتحديد؛ فثمة شيء ما في هذا الرجل يدفع أي فرد إلى أن يتصرف بردة فعل عنيفة تجاهه، إن النظر إلى وجه هذا الشرير يجعلك تشعر بعدم الارتياح، حتى إنك ترغب في الانصراف في الحال؛ فعيناه جامدة وباردة، وتداعب شفتيه ابتسامة قاسية. لا يمكنني أن أصف ما اجتاحني من شعور إلا بالرعب الشديد. كان أمرًا بالغ الغرابة.»

سأل مستر أترسون: «وماذا فعلت؟ هل استدعيت الشرطة؟» وكان السيد أترسون قد تأثر بالقصة تأثرًا شديدًا. وكان يرغب في سماع ما آل إليه الأمر، وكيف كان لهذا الرجل الغريب علاقة بالمنزل المتهالك الكائن على الجانب الآخر من الشارع أمامهما؟

أردف السيد إينفيلد قائلًا: «جربنا طريقة مختلفة، إذ أخبرنا هذا الرجل أننا سوف ننشر أمر فعلته الشنيعة في أنحاء لندن، وسيتناقلها الجميع، وحذرناه من أنه إذا كان له أي أصدقاء أو عمل، فإنه سرعان ما سيفقدهم. توقعت أن يؤثر كلامنا فيه ويأسف عما بدر منه، غير أن ذلك لم يحدث، وأجابني في فتور: «إذا نويت أن تثير مثل هذه الجلبة حول هذا الحادث، عندئذ سأضطر إلى أن أجيب طلبك، ففوق كل شيء، ما من رجل محترم يريد أن يثير ضجة.» وكان صوته هادئًا هدوءًا اقشعر له بدني. وعندئذ ابتسم ذلك الرجل الكريه بحق! فكانت ابتسامته كريهة وخبيثة، ثم قال: «حدد المبلغ الذي تريده.» وبعد قليل من الشد والجذب، وافق على أن يدفع لأسرة الفتاة مائة جنيه. واتفقت أنا والطبيب أن نلازم الرجل للحصول على المال، فتبعناه إلى المنزل — نفس هذا المنزل الكائن أمامك وأمامي الآن — حيث اختفى لبضع دقائق ثم عاد حاملًا شيكًا بمبلغ قدره مائة جنيه. تفقدت الشيك، فأصابني الذهول الشديد لدى قراءة الاسم المكتوب عليه، فهو اسم مواطن معروف وبارز. من الواضح أن هذا الرجل الغريب زوّر توقيعه أو حصل عليه بوسائل غير مشروعة. قال الرجل ساخرًا: «اطمئن، سأمكث معك حتى الصباح وسأصرف الشيك بنفسي. سترى أنه سليم.» وعليه عدت أنا والطبيب والرجل الغريب إلى منزلي ريثما فتحت البنوك. كان انتظارًا مرهقًا؛ لم ينبس أحد منا ببنت شفة، وأخذت أنا والطبيب نتفرس في الرجل بفضول بالغ، وكان هو يحدق في المدفأة

طوال الوقت. أخيرًا طلع الصبح علينا، وانطلقنا إلى البنك، وأخبرت الصراف أنني أملك من الأسباب ما يجعلني أشك أن هذا الشيك مزور، لكنني صُعقت لدى علمي أنه شيك حقيقي.»

قال مستر أترسون: «أوف!» ثم هزّ رأسه مستنكرًا.

قال السيد إينفيلد: «أرى أنك تشعر بمثل ما أشعر به. أجل، إنها قصة مؤسفة. كان الرجل الغريب الذي التقيته شخصًا كريهًا للغاية، شخصًا لا ترغب أبدًا في أن تلتقيه. فهو مرعب وشرير.» ثم هزّ مستر إينفيلد رأسه في أسف وقال: «زد على ذلك أن الرجل المذكور اسمه في الشيك اسم رجل فاضل ذي سمعة طيبة في المجتمع. لا يمكنني تخيل ما الذي يمكن أن يجمع بينهما. ومنذ تلك الليلة وأنا أشير إلى هذا المنزل باسم «منزل الابتزاز»؛ فالشيء الوحيد الذي يمكنني أن أفترضه هو أن الرجل الغريب الشرير يبتز الرجل المحترم بأحد الأسرار التي يعرفها عنه.» هكذا راح السيد إينفيلد يفصح عما يدور بخلده.

قال السيد أترسون: «وهل أنت متأكد من أن الرجل الذي كتب الشيك يقطن هذا المنزل بالفعل؟»

أجاب السيد إينفيلد وهو شارد الذهن: «أظن أنه يعيش في مكان ما في حي سوهو. أنا أراقب هذا المنزل من حين لآخر، وهو يكاد لا يكون منزلًا على الإطلاق؛ فلا توجد نوافذ في هذه الجهة، ولا أحد يدخل أو يخرج منه فيما عدا هذا الرجل بين الفينة والفينة. اختلست النظر بضع مرات من خلال الباب ولاحظت أن ثمة ثلاث نوافذ مواجهة للفناء الداخلي تُنظف باستمرار. وكثيرًا ما يتصاعد الدخان من المدخنة، إذن لا بد أن أحدهم يعيش هناك.»

فيما واصل الرجلان سيرهما، كان السيد أترسون غارقًا في تفكير عميق. قال أترسون: «إينفيلد، أتمانع من أن تخبرني باسم الرجل الذي أطاح بالطفلة أرضًا؟»

أجاب إينفيلد: «حسنًا، لا ضير من هذا. كان اسمه هايد. إدوارد هايد.»

أخذ أترسون نفسًا عميقًا سريعًا، إذ أدرك الاسم، وقال: «آه، أتفهم الأمر. أبمقدورك أن تصفه لي؟»

أجاب إينفيلد: «كما ذكرت قبلًا، لا يسهل وصفه، ثمة شيء غير طبيعي فيه، شيء مزعج، بل مرعب. كان رد فعلي مليئًا بمثل ذلك البغض الشديد حالما وقعت عيناي عليه. لكنني لا أعرف لذلك سببًا. كانت ملابسه فضفاضة وكبيرة عليه للغاية. كان يرتدي

قبعة طويلة وشالًا، وكانت له انحناءة خفيفة. لا، بعد ترو، لا أحسب نفسي قادرًا على وصفه؛ ليس لأنني نسيت مظهره، كل ما هنالك أنني لا أجد الكلمات.»

سأل أترسون: «أمتأكد من أنه استخدم مفتاحًا كي يدخل إلى المنزل؟»

أجاب إينفيلد: «بالطبع.»

قال أترسون: «أعرف أن أسئلتي تبدو غريبة قطعًا، في واقع الأمر، أعرف أنني لست في حاجة إلى أن أسأل عن اسم الرجل المحترم لأنني أعرفه بالفعل. أتعرف يا إينفيلد، أن اسم «هايد» مألوف جدًّا لي. لا أستطيع أن آتي على ذكر أي تفاصيل، لكن كل ما أستطيع قوله هو أن له علاقة بإحدى الوثائق التي أعدها لأحد أصدقائي الأعزاء، دكتور هنري جيكل. إذا كنت تكذب أو تغالي في أي جزء من أجزاء هذه القصة، من فضلك أخبرني، فلا بد أن أعرف كافة الحقائق.»

قال إينفيلد: «كل كلمة تفوهت بها حقيقية.» وقد شعر إينفيلد بأنه جرح قليلًا من شك ابن عمه فيه، فهو لم يتعود أن يتشكك فيه أحد، ولا سيما ابن عمه. تابع إينفيلد كلامه قائلًا: «إن هايد معه مفتاح للمنزل، والأدهى من كل هذا أنه لا يزال بحوزته؛ لقد رأيته يستخدمه من أسبوع فحسب.»

تنهد السيد أترسون بعمق، غير أنه لم ينبس ببنت شفة، فقد كان يفكر في ذلك الممر المتهالك، والفناء الذي وراءه. لقد كانت تساوره المخاوف بالفعل بشأن هذا الرجل الذي يُدعى «هايد». وقد أدرك الآن أنه لن يستطيع أن يتجاهل هذا اللغز أكثر من ذلك. لكن للأسف، ليست لديه أدنى فكرة عما ينبغي أن يقوم به.

قال إينفيلد: «أنا متأسف يا أترسون على ذكري هايد وهذه القصة. لنقطع وعدًا ألا نناقش هذا الأمر مرة أخرى.» ثم وضع يده على كتف ابن عمه، فقد كان من الواضح أن أترسون اغتم للغاية لدى سماعه هذه الأخبار. وأراد إينفيلد أن يسمع القصة التي يعرفها أترسون عن هايد، غير أنه كان على دراية بمدى احترام أترسون خصوصيات الآخرين.

قال أترسون المحامي: «سأفعل هذا بكل جهدي.» وقد أشعره بالارتياح أن إينفيلد لن يطرح المزيد من الأسئلة، فقال: «دعنا نتصافح بشأن هذه المسألة وندع الأمر وشأنه.» تصافح الرجلان ومضيا قدمًا في سيرهما، وقد قضيا بقية وقتهما صامتين.

الفصل الثالث

حوار مع الدكتور لانيون

كان من عادة السيد أترسون في ليالي الأحد أن يمضي وقته مستمتعًا بقراءة كتاب جيد إلى جانب المدفأة ثم يأوي إلى الفراش عند منتصف الليل. غير أنه في تلك الليلة جلس ليتناول عشاءه وهو مغتم؛ فقد كانت أمور كثيرة تدور برأسه كما كان يعاني عسر هضم طفيف. حالما رُفع الطعام من أمامه، ذهب إلى حجرته الخاصة وفتح الخزنة وأخرج بعض الأوراق الخاصة، وكان مكتوبًا على أحد المظاريف «الوصية الأخيرة للدكتور هنري جيكل». فتح السيد أترسون المظروف وجلس عابس الوجه. ولم يكن أترسون راضيًا عن بنود الوصية. بل في واقع الأمر تجادل مع الدكتور جيكل حول محتويات الوصية: نصت الوصية على أنه في حال موت الدكتور جيكل — أو اختفائه لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر — تئول كل ممتلكاته إلى السيد إدوارد هايد. ورأى أترسون أنه أمر غريب إلى حد بعيد أن يترك جيكل ثروته بأكملها لرجل واحد. كان أترسون أحد الأصدقاء المقربين إلى جيكل، غير أنه لم يكن يعرف أي شيء عن السيد هايد إلى أن أخبره إينفيلد بقصته. كان أترسون منزعجًا أيما انزعاج من عبارة «أو اختفائه لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر». فما الذي يمكن أن يضطر أي شخص إلى أن يُدرج مثل تلك العبارة في وصيته؟ هل يظن دكتور جيكل أنه قد يختفي؟ رأى أترسون أن في هذا ضربًا من ضروب الجنون، على أنه لم يكن من جيكل إلا أن ضحك على ما يقوله أترسون. ولم يكن في وسع المحامي أن يفعل شيئًا سوى أن ينزل عند رغبة أصدقائه. غير أن أترسون أصبح في غاية السخط والحنق الآن لدى علمه أن هذا الرجل الذي يُدعى هايد وغد في حقيقة الأمر. لماذا يتورط صديقه الطبيب جيكل مع مثل هذا الرجل؟ أعاد أترسون الأوراق إلى الخزنة بقلب حزين وقلق شديد على صديقه.

لم يستطع أترسون أن يفكر في الخلود إلى النوم وهو في مثل هذه الحالة، لذا ارتدى معطفه وغادر إلى «ميدان كافنديش»، حيث يقطن صديقه الدكتور لانيون. فكر أترسون في نفسه: «لو أن أحدًا يعرف شيئًا عن هذا الرجل الذي يُدعى هايد، لكان لانيون.» لانيون وجيكل وأترسون يعرف بعضهم بعضًا منذ حداثتهم، ومرت عليهم أوقات لا ينفصلون فيها. مع ذلك مرت سنون عديدة، ندر ما التقى الأصدقاء فيها. ومضى كل من لانيون وجيكل، على وجه الخصوص، في طريقهما. قرع أترسون باب الدكتور لانيون.

رحب دكتور لانيون بصديقه القديم ترحيبًا حارًّا وقال: «لقد مرّ وقت طويل يا أترسون منذ أن رأيتك، أين كنت مختبئًا؟» كان لانيون رجلًا يتمتع بوافر الصحة والنشاط، وجهه أحمر وشعره أبيض تمامًا. وكان منزله مزخرفًا على نحو جيد ومؤثثًا بالأرائك والمقاعد الوثيرة، وبدت كل غرفة دافئة ومريحة للغاية، فدائمًا هناك ألسنة لهب متأججة، وكثير من أضواء الشموع في كل مكان. كان لانيون يستمتع بالصحبة والحديث الطويل مع أصدقائه، وكانت ضحكته عالية مدوية عادة ما تتردد أصداؤها في جنبات منزله.

تسامر الصديقان لبعض الوقت حول الأيام الخوالي وما حدث منذ آخر مرة تحدثا فيها؛ أخبره أترسون أن مزاولته لمهنة المحاماة تسير على ما يرام، وحدثه لانيون عن بعض مرضاه وذكر أنه يتوق إلى التقاعد. أخيرًا، عرض المحامي سبب زيارته في هذه الساعة المتأخرة من الليل: «أظن يا لانيون أننا قطعًا كنا أقدم صديقين لدكتور جيكل.»

قهقه لانيون وقال: «كنت أتمنى أن لو كنا صديقين أصغر سنًّا. لكن أتفق معك فيما قلته. وما في هذا؟ نحن نادرًا ما نلتقي.»

قال أترسون: «حقًّا؟ لقد ظننت أنكما تتمتعان بالكثير من الاهتمامات المشتركة. فلكونكما طبيبين، ثمة الكثير لتتناقشا فيه.»

رد لانيون: «لقد كنا كذلك. لكن منذ أكثر من عشرة أعوام أصبح جيكل غريبًا لأبعد حد بالنسبة لي؛ لقد بدأ يضطرب، يضطرب أيما اضطراب، في رأيي. وكانت تراوده أفكار شاذة للغاية وغير مبنية على أسس علمية بالمرة. ولست أرى أن أفكاره وتجاربه كانت غير علمية فحسب، وإنما أيضًا غير مقبولة أخلاقيًّا. لقد كان يسعى نحو بلوغ نتائج خطيرة. بوضوح تام، لم أستطع أن أواصل تعضيده. قطعًا بصفتي صديقًا قديمًا، ما زلت أهتم بأن يحيا حياة كريمة، لكنني لا أريد أن أتورط معه كثيرًا.»

تكدر أترسون لدى معرفته أنه يوجد شجار بين لانيون وجيكل. وقد ابتغى أن يسأل عن هذه التجارب الخطيرة، لكنه عرف أنه يجدر به أن يلتزم بالموضع الذي أراد

بالفعل أن يتحدث عنه. فسأل صديقه: «هل التقيت من قبل برجل يعرفه جيكل اسمه «السيد هايد»؟»

كرر لانيون الاسم: «هايد؟ لا لم أسمع عنه البتة.»

شعر أترسون بالإحباط، فقد تمنى أن يجد عند لانيون خيطًا يقوده إلى معرفة طبيعة العلاقة بينهما. وكان أترسون قد التقى جيكل مرات معدودة على مدار الأشهر القلائل الماضية. وقد انزعج لدى معرفة أن لانيون التقاه على نحو أقل منه.

رجع أترسون إلى منزله بعد فترة وجيزة من حواره مع لانيون ثم أوى إلى فراشه، ومع ذلك لم يهنأ بنوم مريح، فقد أخذ يتقلب في فراشه طوال الليل. ولم يستطع أن ينفض عن ذهنه التفكير في جيكل وهذا المدعو هايد. أكان هذا المجرم يبتز صديقه القديم؟ لقد أطلق إينفيلد على المنزل اسم «منزل الابتزاز» وربما كان محقًّا. هل هناك شيء ما في الماضي أراد جيكل أن يخفيه؟ ظن أترسون أنه ربما تكون هذه الحقيقة، فدكتور جيكل لم يكن مثاليًّا إبان الشباب؛ إنما انخرط في العديد من الأنشطة الطائشة، وكان أترسون قد حذره بالفعل كي يحتاط، لكن لم يكن من جيكل إلا أن يضحك. فقد احتسب الطبيب الشاب أنه لا ضير في القليل من المغامرات. والآن وبعد أن مرت سنون عديدة، يبتز هذا الرجل الغامض جيكل. وقد تألم المحامي لدى فكرة أن هذا الوغد هايد أيقظ صديقه القديم عند منتصف الليل كي يطلب منه شيكًا بمائة جنيه. والأدهى من كل هذا، أن جيكل قد اقتنع بأن يترك كل متاعه الدنيوي لهايد المُبتَز. وساورت أترسون المخاوف بشأن أمان صديقه القديم. من ثم عقد العزم على أن يرى هايد وجهًا لوجه.

الفصل الرابع

البحث عن السيد هايد

بعد مرور بعض الوقت، عرج أترسون مرة أخرى في الصباح قبل أن يتجه إلى عمله، على الممر المؤدي إلى المنزل حيث روى له إينفيلد القصة. وقد زاره أثناء ساعات الغداء عندما كان الشارع مكتظًّا بالمتسوقين. وفي الليل، عندما لم يكن أحد في الشارع، انتظر أترسون وأخذ يراقب المكان. فكر أترسون في نفسه: «إذا كنا سنلعب لعبة الغميضة حيث هو «المُختبئ» كما يوحي اسمه فسأقوم أنا بدور «المتعقِّب».»

بعد طول انتظار كُوفئ صبره؛ كانت الليلة صافية جافة والقمر بدرًا ساطعًا يضيء الشارع، ولم يكن هناك أي ضباب أو أمطار. وقد أغلقت جميع المتاجر أبوابها، والشارع في غاية الهدوء. ولمّا كان أترسون يقف بالممر، سمع صوت وقع أقدام خفيفة مُسرعة تقترب منه. وحتى قبل أن يرى ظلًّا مظلمًا ينعطف، أدرك أترسون أن هذا الظل هو ظل مستر هايد.

كان هايد ضئيل الحجم ويرتدي ملابس غير رسمية، ومعطفًا داكن اللون. وكانت القبعة مشدودة لأسفل على رأسه. للحظة ظن أترسون أن هايد يعرج، لكن يبدو أن عينيه كانتا تخونانه فحسب. فقد كانت طريقة هايد في السير قوية ومفعمة بالحيوية. سار هايد نحو الباب مباشرة، وكان يخرج المفتاح من جيبه فيما كان يعبر الشارع، ولم يبد لصًّا أو شخصًا يتسلل إلى المبنى، وإنما بدا مطمئنًّا؛ كأنه رجل يدخل إلى منزله.

خرج السيد أترسون من مكمنه ولمس كتف هايد وهو يمر به وقال: «أظن أنك السيد هايد؟»

ارتد هايد للوراء وهو يلهث. بدا عليه الفزع للحظة، لكن سرعان ما استعاد هدوءه، غير أنه لم ينظر إلى وجه أترسون فيما أجابه قائلًا: «هذا اسمي. ماذا تريد؟»

أجاب أترسون: «أنا صديق قديم للدكتور جيكل، اسمي أترسون. أنا على يقين من أنك سمعت عني. يا لها من مصادفة أن ألتقي بك هنا في الخارج.» (وفي هذا كان أترسون يكذب.) «هل تسمح لي بالدخول إلى المنزل؟»

سأله هايد: «كيف تعرفني؟» وكان لا يزال راغبًا عن النظر إلى وجه أترسون، فكانت عيناه تتناوبان النظر ما بين الشارع والباب، لكنها لم تتحول مباشرة نحو الرجل الواقف أمامه.

قال أترسون: «أتسدي لي معروفًا؟» وقد تجاهل الرد على سؤال هايد إذ رأى أنه من الأفضل أن يدخل في صميم الموضوع مباشرة، علاوة على أنه شعر أيضًا بالبغض والنفور الشديدين اللذين تحدث عنهما إينفيلد، فثمة شيء في هايد يخلق ردة الفعل هذه.

أجاب هايد: «بالطبع. وما هذا المعروف؟»

قال أترسون: «اسمح لي بأن أرى وجهك.»

بدا أن هايد مترددًا، وعندئذ بعد لحظة أو اثنتين من التفكير، نظر بكل وقاحة في عيني أترسون. حدق الرجلان أحدهما في الآخر بضع ثوان.

قال أترسون: «الآن سأستطيع أن أعرف وجهك عندما نلتقي مجددًا.» ثم قال أترسون بنبرة واثقة: «قد يكون هذا مفيدًا.»

رد هايد: «أجل. من الجيد أننا التقينا.» تحدث هايد بثقة بالمثل. وقف الرجلان وجهًا لوجه يكاد كل منهما يتحدى الآخر من يحول نظره بعيدًا أولًا. أضاف هايد: «ربما يكون من الأفضل أن تأخذ عنواني أيضًا.» ثم سلم أترسون بطاقةً مكتوب عليها أحد العناوين الكائنة في حي «سوهو»، وهي بقعة من المدينة أكثر خطورة.

فكر أترسون في نفسه قائلًا: «يا إلهي! هل أعطاني عنوانه بسبب الوصية؟» استبد القلق بأترسون من أجل صديقه جيكل. هل تمنى هايد أن يحصل على تركته في القريب العاجل؟ غير أن أترسون أخفى مشاعره، وشكر هايد على بطاقته.

قال هايد: «والآن، أخبرني كيف عرفتني؟»

أجاب أترسون: «من الوصف.»

سأل هايد: «وصف من؟»

أجاب أترسون: «لدينا أصدقاء مشتركون.»

سأل هايد: «أصدقاء مشتركون؟ ومن يكونون؟»

أجاب أترسون: «حسنًا، دكتور جيكل على سبيل المثال.»

انفجر هايد في ضحكات كريهة قبيحة، وكانت عيناه داكنتين فاترتين؛ فلم تلمعا أو تتوهجا عندما ضحك. لم تظهر عليه أي علامات تدل على السرور. وفي اللحظة التالية، وبسرعة مذهلة، فتح هايد الباب ودخل إلى المنزل.